

في مدينة الأبيض سيدي الشيخ
فرنسا وأول تجربة تنصيرية في التاريخ
- الجزء الثاني والسبعون -

بقلم: الطبيب بن ابراهيم

*استقبال السكان لقرار وقف الأذان

كان عدد سكان مدينة الأبيض سيدي الشيخ سنة 1933 حسب مصادر الإرسالية (1500 نسمة) وهو عدد قليل جدا مقارنة بتاريخ تأسيس المدينة وأمجادها كعاصمة لإمارة أولاد سيدي الشيخ إذ تم تهجير ومطاردة السكان بعد ثورة الشيخ بوعمامة وتلتها أحداث مذبحة مدينة الأبيض وتفجير ضريح سيدي الشيخ على يد السفاح العقيد فرونسوا أوسكار دونيغري صيف سنة 1881 كما أن جل سكان المدينة كانوا يقيمون بالبدو ويستخدمون بيوتهم عادة للتخزين والتموين ومع ذلك كانت هناك نخبة من الأعيان بالمدينة تقود السكان يتزعمهم عدنان الحاج بحوص وابنه محمد وغيرهما كان هذان الأخيران على رأس من تصدوا وتزعموا مواجهة رجال الإرسالية ومهزلة أذانهم واستطاعوا إيصال رفضهم واحتجاجاتهم إلى كل السلطات المدنية والعسكرية بما فيها الحاكم العام نفسه

الجزائر بمدينة Jules Carde

بعد الرفض والاحتجاج المتواصل من طرف السكان ضد أذان المنصب والاحتلال وعلى جميع المستويات تكللت الجهود بالنجاح وحقق السكان مطالبهم واستجابات السلطات لهم وتم اتخاذ قرار الوقف من طرف السلطات العليا العسكرية التي أبلغته للسلطات العليا الكنسية. أرسل المحافظ الرسولي المونسنيور غوستاف نوي أرسل للإرسالية قرار الوقف الفوري للأذان بتاريخ 17 ماي سنة 1935 وكان آخر يوم لُفِظت فيه أنفاس أذان الكنيسة هو يوم الأربعاء 22 ماي سنة 1935 وتشاء المصدف وبديل الاحتفال بيوم 22 ماي 1934 كذكرى أولى مفرحة لافتتاح الكنيسة تحول ليوم مؤلم لرئيس الإرسالية عكس ما كان متوقعا.

استقبل سكان مدينة الأبيض سيدي الشيخ قرار وقف أذان كنيسة الإرسالية بالفرح والارتياح والابتهاج فانقطع نهائيا الصوت المؤلم لمشاعرهم الذي كان يسمع من أعلى منارة الإرسالية من طرف أعداء دينهم وأعاد لهم هذا النصر الثقة بالنفس في مواجهة الاحتلال ومشاريعة المعلنة والمستترة ورأوا في ذلك القرار كسبا للمعركة غير المتكافئة بين الطرفين وثمره لجهودهم ونصرا لاحتجاجاتهم ضد استهتار رجال الإرسالية الذين شوهوا أذانهم واعتدوا على إحدى شعائرهم الدينية. فذكرهم ذلك النصر بأمجادهم وتاريخهم ومقاوماتهم.

كما كان من مكاسب هذا النصر على تحايل رجال الإرسالية أن نبههم للحذر مستقبلا من كل التصرفات التي لا يوثق بها وبالتصدي لأي عمل مشبوه حتى ولو كان ظاهره تقليد رجال الإرسالية لبعض شعائر المسلمين حتى ولو قرأوا القرآن! وفضح أساليب التنصير المستحدثة والمستترة التي قد تلجأ لها الإرسالية لمغالطة السكان والتحايل عليهم كحالة أذان المنصب والتضليل! وبقدر ما كان الأذان أجرا خطوة نصب واحتلال اتخذتها الإرسالية في المدينة اتجاه السكان كان وقفه وإبطاله يمثل أكبر نكسة وفضيحة لسياسة التنصير عن طريق التكيف والاختراق التي انتهجتها الإرسالية.

ومن جهة أخرى كان رئيس الإرسالية الأب فوايوم أثناء فترة أذانه يسجل يوميا ردود فعل السكان حول خطوات مشروعه وكيف استغرب السكان صيغ المتناقضة مع أذانهم الإسلامي وكيف توقعوا أن رجال الإرسالية في طريقهم للإسلام كما اعترف لكن بعد دخول الإرسالية في صراع قوي مع السكان حول الأذان المزيف ومطالبتهم بوقفه ورفض رئيس الإرسالية لمطالبهم وفي الأخير انتصر السكان وتم وقف الأذان لم يذكر لنا رئيس الإرسالية كعادته ردود فعل السكان وفرضتهم ...

كانت مناسبة فضح ووقف أذان المنصب والاحتلال فرصة للسكان نبهتهم لخطورة وحقيقة زوايا رجال الإرسالية وأساليبهم الجهنمية المتبعة واكتشاف المستوى الثقافي والعلمي لمستشرقها وإطلاعهم الواسع على العقيدة الإسلامية وإمامهم بثقافتها وقدرتهم على التكيف والتقليد للمسلمين وخطورة مشروعه الذي ينفذونه فانتاب السكان الشك والحذر من كل أهدافهم ودوافعهم المعلنة وغير المعلنة في العلاقة معهم فغير السكان استراتيجية التعامل معهم حيث بدأت مرحلة جديدة من العلاقات بين الطرفين وأصبحت تصرفات رجال الإرسالية ونشاطاتهم تحت المراقبة وعدم الوثوق بها وهذا ما أدى إلى خروج السكان في عدة مظاهرات باتجاه مقر الإرسالية في عدة مناسبات ضد الرئيس الثاني للإرسالية ميلاد عيسى المستغل لظروف السكان وبعض الأحداث المضاعفة اجتماعيا واقتصاديا وهذا ما أوصله إلى أن صفع من طرف أحد المواطنين. بالإضافة لتحرك عدد من علماء المدينة كان أولهم العالم الكبير عبد الكريم محمد بن شكر خريج جامعة القرويين بفاس والذي حل بمدينة الأبيض سنة 1941 وكانت وفاته سنة 1978 بمدينة تيارت والثاني عدنان محمد الذي قاد أكثر من مظاهرة اتجاه مقر الإرسالية ضد تحركاتها المريبة. لكن المواجهة النارية كانت بين رئيس الزاوية المسي بوبكر حمزة الذي انتخب رئيسا للزاوية سنة 1949 وأعيد انتخابه لها مرة ثانية قبل أن يعين عميدا لمسجد بارييس حيث واجه رئيس الإرسالية الأب ميلاد عيسى الذي أصبح رئيسا للإرسالية سنة 1947 عقب مغادرة رئيسها الأول للجزائر واتهم بوبكر حمزة رئيس الإرسالية ميلاد صراحة بمحاولة تنصير السكان خاصة بعد حادثة الشاب علي بن ساسي وطلب رئيس الزاوية المسي بوبكر بطرد القس ميلاد من عاصمة أولاد سيدي الشيخ بالإضافة للعالم لعجاب حاج جللول الذي حل لاحقا بالأبيض ما

بين سنة 1955 إلى غاية سنة 1975.

كان مشهودا لهؤلاء العلماء الكبار بالعلم والاطلاع على الفكر الاستشراقي وثقافته ودواضه ورجاله ومؤسساته والصراع الفكري في البلاد المستعمرة كما يقول مالك بن نبي رحمه الله وذلك لمواجهة مستشريقي الإرسالية أصحاب الماطلاع الواسع على العقيدة الإسلامية والإمام بثقاافتها وتاريخها ۞ والموقوف أمامهم ندا للنند.

..يُتبع...